نشأة الحضارة اليونانية والرومانية

أ.د. / السيد رشدي

أولاً : الحضارة اليونانية

أ : جغرافية بلاد اليونان

المقصود ببلاد اليونان ، هي شبه جزيرة اليونان وجزيرة كريت وجزر الكوكلاديس ، وهم جميعاً يشكلون بلاد اليونان ، وقد أثرت الجغرافية علي تشكيل الحياة السياسية والاجتماعية في بلاد اليونان ، ولذلك وجب علينا الحديث عن جغرافيتها .

وتشتمل الجغرافية علي الأتي :

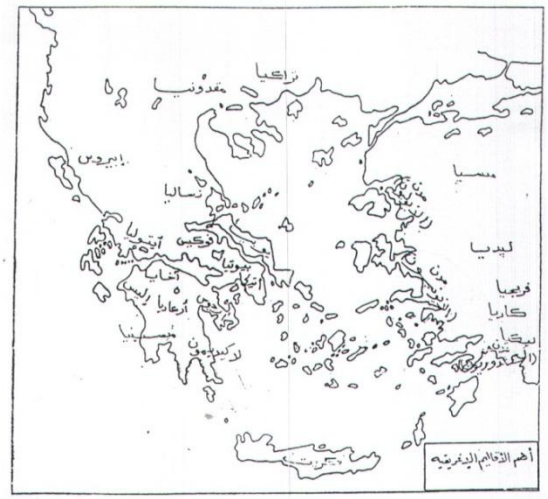

1 : الموقع : هي شبه جزيرة كبيرة تتدلى من أوربا متوغلة في البحر المتوسط (الشكل رقم 1)، وهذا الموقع جعلها قريبة من مصر من ناحية الجنوب ، وبالتالي اتصلت بمصر وتأثرت بالحضارة المصرية القديمة ، ومن ناحية الشرق كانت قريبة من الساحل الشرقي للبحر فاتصلت بالمدن الفينيقية وتبادلت الخبرات البحرية والتجارية مع هذه الحضارة

2 : التضاريس : تضم شبه جزيرة اليونان جبالا من الحجر الجيري قطعت طول البلاد وعرضها ، وأودية ضيقة وخلجاناً طويلة وأنهاراً قليلة سريعة الجريان وجزراً كثيرة ، ولذلك كانت هذه التضاريس الصعبة سبباً في صعوبة الاتصال بين المدن اليونانية ، ففرقت بينهم ودفعت كل مدينة تبحث لنفسها عن ما يلائم ظروفها المعيشية ، وبهذا نشأ في بلاد اليونان نظام سياسي يطلق عليه نظام (المدينة الدولة) Polis ، بعنى أن كل مدينة هي دولة بذاتها .

2: المناخ : مناخ بلاد اليونان متوسطي ، يتميز بالحرارة صيفاً والدفئ شتاءً ، وهو ما يشابة مناخ باقي دول حوض البحر المتوسط ، وبالتالي تشابهت طباع سكان بلاد اليونان مع سكان مصر وايطاليا وسوريا ، فكان التقارب بينهم سهلا .

ب : الحضارات اليونانية القديمة

ترجع الحضارات اليونانية القديمة إلي حوالي الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد تم التعرف عليها من الآثار التي اكتشفت في مطلع القرن العشرين ، وهي:

1 : حضارة الكوكلاديس

ظهرت هذه الحضارة في مجموعة جزر الكوكلاديس التي تقع جنوب شرق شبه جزيرة اليونان ، وامتدت من 3000 – 1100 قبل الميلاد ، وتعرفنا عليها من خلال بعض الأواني الفخارية التي عثر عيها في بعض هذه الجزر ، وكان من أشهرها جزيرة كيرنوس Kernos التي عُثر فيها علي أربعة فناجين من القخار علي قاعدة مستديرة (الشكل رقم 2) ، ترجع إلي أواخر العصر الكوكلادي ، ذلك إلي جانب بعض بقايا مساكن كانت مبنية من الأحجار .

2 : الحضارة المينوية في كريت

قامت في جزيرة كريت حضارة قديمة ارتبطت بالحضارة المصرية وتأثرت بها ، حتى وصل الأمر ببعض العلماء إلي الاعتقاد بأن الحضارة الكريتية لا تخرج عن كونها فرعاً من فروع الحضارة المصرية . وسميت بالمينوية لان كل ملوكهم كانوا يحملون لقب (مينوس) مثلما حدث في مصر ، حيث سميت بالفرعونية لآن كل ملوك مصر كانوا يحملون لقب فرعون .

وتمتد الحضارة المينوية من 3000-1100 قبل الميلاد ، وقد عُثر في كثيرة كريت علي كثير من المخلفات الأثرية التي توضح مدى تطور هذه الحضارة وتأثرها بالحضارة المصرية ، وأشهر هذه الآثار قصر كنوسوس (عاصمة المدينة) التي وضح فيه المباني الكبيرة وجدرانه التي بنيت بالأحجار ، وضم البناء ساحة كبيرة تقوم علي جوانبها مباني من ثلاثة أو أربعة طوابق ، وكان يرقى إليها بدرجات جحرية واسعة ، وتحتوى هذه المباني علي عدد لا حصر له من الحجرات ومراكز الحراسة والحوانيت ومعاصر الخمر والمخازن ومكاتب تصريف شئون الدولة ومساكن للخدم وحجرات للاستقبال ومعبد وحجرات للعرش ، وبالقرب من هذا كله مسرح وقصر صغير ذو حديقة فضلاً عن مقيرة (الشكل رقم 3) .

ولعل التأثير الأكبر الذي نقله أهل كريت من مصر هو قصر التيه (اللابيرانث) وهو قصر متعدد الحجرات بني بطريق هندسية في غاية الدقة ، ويعتمد تصميم هذا القصر علي أن من يدخله لا يستطيع أن يخرج منه ، ولا يعلم مخارجه سوى من قام ببنائه ، وقد قلد الكريتيين في بناء هذا القصر ، مبنى اللابيرانث المصري الموجود الآن في الفيوم والذي كان قد بني في الدولة الوسطي ، وقد عُثر مؤخراً علي بقايا هذا القصر (الشكل رقم 4) ، أما قصر اللابيرانث في كريت فقد تهدم ولم يبق منه سوى بعض الحوائط الحجرية الصغبرة .

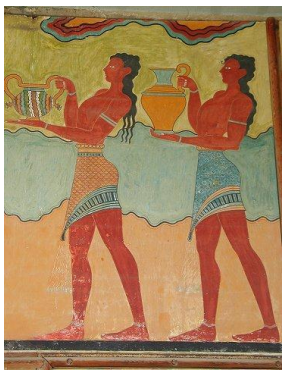

وعرف الكريتيون أنواع عديدة من الفنون التي تميزوا فيها ، وزاع صيتهم في العالم القديم ، ومنها فن الفريسكو Fresco ، وهو فن الرسم علي الحائط ، حيث استخدم الفنان الكريتي طريقة زخرفة الحوائط بالالوان وهي ما تزال جديدة الطلاء مبللة ، فينفذ اللون إلي الطلاء ويصبح الطلاء واللون كياناً واحداً (الشكل رقم 5) . وانتشر

هذا الفن في كافة المباني في كريت ، مما ساعدنا علي معرفة الحضارة الكريتية ، ولكن في أواخر الحضارة المينوية تدهور هذا الفن ، وهذا ما دفع العالم (ول ديورانت) إلي القول : " من حق الفنان الكريتي علينا أن نقول أن التصوير في العصور القديمة لم يمثل الطبيعة بمثل النضارة التي مثلها بها التصوير الكريتي مع جواز استثناء مصر القديمة من هذا التعميم " .

هذا إلي جانب صناعة الفخار التي تميز بها أهل كريت ، فما وصل إلينا من صناعات فخارية ، تؤكد علي مدى التطور في هذه الصناعة ، فالزهريات والمناجين وأقداح الشاي الخمر والجرار وتماثيل اللآلهة والحيوانات كانت علي درجة عالية من الجودة ، وكانت تطلى بطبقة زجاجية كطلاء الخزف علي أرضية سوداء ، ولدينا نموذج من هذه الأواني توضح مدى التطور في صناعة الفخار الكريتي ، وهو إناء فخاري استخدم لتخزين الحبوب والسوائل (الشكل رقم 6).

وبرغم كل هذا التطور الحضاري في كريت إلا أنها أفلت سريعاً وانهارت فجأة في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد .

3 : حضارة طروادة

تقع طروادة بأسيا الصغرى بالقرب من مضيق الدردنيل ، واشتهرت بسبب ما ذكره هوميروس عنها في الالياذة ، وقد بقيت مجهولة حتى اعتقد الناس بأنها مجرد اسطورة ، حتى جاء العالم الألماني (شليمان) الذي اكتشف أثار المدينة القديمة ، واصبحت مدينة طروادة واقع علي وجود حضارة يونانية في هذا المكان .

وتكشف آثار المدينة عن رخاء اقتصادي كانت تعيشه هذه المدينة في العصور القديمة ، حيث احتوت علي عدد كبير من منازل العامة المتلاصقة والمبنية من الآحجار ، وتتجمع كلها حول المنطقة السكنية للأسرة المالكة ، والتي بنيت علي ربوة عالية ومحاطة بسور كبير ، ويوجد داخل هذا السور ، بعض المباني الكبيرة التي تشبه القصور ، إلي جانب المعابد وبقايا أبراج كبيرة

استخدمت في حراسة المدينة ويوجد باب ضخم كبير وهو البوابة الرئيسية ، وقد قدم لنا بعض العلماء تصور لشكل مدينة طروادة بينوا فيه شكل المدينة قبل تدميرها علي أيدي المدن اليونانية (الشكل رقم 7) .

أما عن أسباب تدمير المدينة ، فتحكي الأسطورة كما رواها هوميروس ، أن (باريس) ابن ملك مدينة طروادة قد وقع في حب (هيلين) زوجة ملك (لحرب طروادة ، وذهبوا جميعاً لحرب طروادة ، ولكن المدينة كانت حصينة وأسوارها عالية لم يستطعوا أن يدخلوها ، ولذلك لجأوا إلي صناعة تمثال كبير لحصان من الخشب (وضع بعض العلماء تصور اسبرطة) ، فقررت الهروب معه والأختباء في طروادة ، وهنا ثار ملك أسبرطة وجمع المدن اليونانية كلها لشكل حصان طروادة ، الشكل رقم 8) ، اختبئ بداخله مجموعة من الفرسان وقدموه لسكان المدينة ، الذين فرحوا به وأدخلوه المدينة ، وفي المساء نزل الفرسان من الحصان وفتحوا أبواب المدينة للجنود اليونانيين ، وسرعان ما دخلوا ودمروا المدينة وحرقوها ودمروا كل المباني والقصور والمعابد ، ولم يبق من المدينة سوى أطلال لبعض المباني (الشكل رقم 9) .

وبرغم أن هذه الرواية مجرد أسطورة ، إلا أن البقايا الأثرية التي سبق الحديث عنها أكدت أن مدينة طروادة كانت موجودة بالفعل ، أما عن سبب تجمع المدن اليونانية لتدميرها ، فالسبب الحقيقي أن مدينة طروادة كانت تقع علي مضيق الدردنيل ، وبالتالي كانت تسيطر علي خطوط التجارة في البحر الأسود ، ولا تدخل أية بضائع للمدن اليونانية إلا عن طريق طروادة ، وعندما تحالفت طروادة مع الحيثيين أعداء اليونانيين ، أصبحت طروادة تشكل خطراً علي المدن اليونانية ، ولذلك أصبح من الضروري حربها وتدميرها كي لا تقطع عليهم خطوط التجارة .

4 : الحضارة الموكينية

اطلقت علي هذه الحضارة العصر الهيلادي ، أي العصر اليوناني القديم ، وكانت مدينة موكيناي هي احدى مدن شبه جزيرة اليونان ، وازدهرت هذه الحضارة في الفترة ما بين 3000– 1100 قبل الميلاد ، وتميزت الفترة المبكرة من هذه الحضارة بتطور صناعة المعادن وإن بقى استخدامها محدوداً ببعض الأسلحة وبعض الأدوات .

وأهم البقايا الأثرية المميزة لهذه الحضارة ، هي الفخار الذي كان يتميز بسطح لامع ولون رمادي ، ومع ذلك فهناك بعض الأواني التي تميزت باللون الأحمر والأصفر ، الذي حاولوا أن يقلدوا به الحضارة المينوية .

أشهر ما خلفته لنا هذه الحضارة ، هي مبانيهم المتطورة ، حيث لاحظنا من البقايا الأثرية كثرة المباني والقصور والمعابد ، والتي وضح عليها ازدياد خبرة سكان موكيناي في البناء وتحصين مبانيهم (الشكل رقم 10) . كما تابع الموكينيون اساليب الفن الكريتي في الزخرفة والرسوم علي الحوائط والفنون الأخرى ، كما يتضح من قطع الفخار والحلي وتماثيل التيراكوتا (الطين المحروق) والأحجار المنقوشة ، ولكن يلاحظ أن الموكينيين بدأوا ينزعون إلي تبسيط الأشكال مما يعتبر مقدمات للعصر الهندسي .

وهكذا يتضح لنا أن الحضارة اليونانية نشأت منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، ولكنها كما رأينا انتهت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ثم عادت في الظهور وبقوة في القرن التاسع قبل الميلاد ، حيث وجدنا الحضارة اليونانية في أوج عظمتها وقوتها لتصبح واحدة من أعظم الحضارات القديمة في شتى المجالات ، وهذا ما سوف نعرفه فيما بعد ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن ، أين الحضارة اليونانية في الفترة من القرن الثاني عشر وحتي القرن التاسع ؟ ، حقيقة الأمر أن بلاد

اليونان تعرضت لموجة من الهجرات البربرية لغزاة يطلق عليهم (الدوريون) وهم شعوب همجية دخلت بلاد اليونان قادمة من أواسط آسيا ، مثل الهكسوس الذين غزو مصر ، هذه الشعوب كانت تفتقر للحضارة والفكر ولم يكن يعنيهم سوى الحرب والقتال وجمع خيرات البلاد التي يغزوها ، ولذلك عندما دخلوا بلاد اليونان دمروا ما قابلوهم من منشأت وحضارة ، ولذلك تراجعت الحضارة اليونانية القديمة لفترة من الزمن ، ومع مرور الوقت ذابت هذه الشعوب داخل نسيج المجتمع اليوناني ، لتعود الحضارة اليونانية في بناء نفسها مرة أخرى لتخرج لنا في القرن التاسع قبل الميلاد بكافة ألوان الحضارة في كل المجالات السياسية والفنية والفكرية (سيأتي ذكره فيما بعد) .

ثانياً : الحضارة الرومانية

أ : جغرافية شبه جزيرة ايطاليا

1 – الموقع : إذا نظرنا إلي خريطة حوض البحر المتوسط فإننا نلاحظ الامتداد الكبير لشبه جزيرة ايطاليا داخل البحر ، وقد ساعد هذا علي تاسيس عدد كبير من الموانئ علي البحر المتوسط وبالتالي اتصلت بالحضارات التي قامت آنذاك ، مثل الحضارة المصرية واليونانية والقرطاجية (الشكل رقم 11) .

2 – التضاريس : يجدر بنا أن نؤكد علي أن هذه التضاريس الايطالية ساعدت علي قيام وحدة في كل شبه الجزيرة علي العكس من بلاد اليونان ، ونتعرف علي ذلك من طبيعة الأرض في شبه جزيرة ايطاليا ، فهي أرض سهلية منبسطة وصالحة للزراعة ، كما أن جبال الألب الواقعة شمال شبه الجزيرة ، كانت حامية لهم من غزوات الشمال ، ودافعة لهم علي الاتصال بدول حوض البحر المتوسط أكثر من وسط أوربا .

3– المناخ : تمتاز ايطاليا باعتدال مناخها وتشابهه مع مناخ بلاد اليونان ودول حوض البحر المتوسط .

ب : الشعوب التي سكنت ايطاليا قبل تأسيس روما

اعتقد بعض الناس أن التاريخ الروماني بدأ مع تأسيس روما عام 753 قبل الميلاد ، ولكن في حقيقة الأمر أن شعوباً عدة سكنت شبه جزيرة ايطاليا قبل تأسيس المدينة ، وهم :

1- اللاتين : وكانوا أقدم الشعوب التي عرفت فيما بعد بالايطالية ، هم أصحاب اللغة اللاتينية ويرجع لهم الفضل في تأسيس مدينة روما ، وعاشوا في المناطق السهلية خاصة في سهل لاتيوم .
2- قبائل السابيلي : وهم سكان سهول كمبانيا ولوكانيا ، وكانت هذه القبائل تتحدث الأوسكية والأوميري ، وقد أخذت هذه القبائل في الانتشار نحو الجنوب والجنوب الغربي منذ القرن السادس قبل الميلاد علي حساب جيرانها .
3- الأتروريون : شعوب غير ايطالية ولا نعرف أصلها علي وجه الدقة ، وكانت تسكن المناطق الشمالية من ايطاليا ، ودائمة الاغارة علي المدن اللاتينية في اواسط ايطاليا ، هذا ما دفع المدن اللاتينية علي الاتحاد وتأسيس مدينة روما علي نهر التيبر لتكون خط دفاع أول ضد غزوات الاتروريين .
4- المدن اليونانية : وهي مجموعة مدن اسست في جنوب ايطاليا ، هاجر سكانها اليها من بلاد اليونان من منتصف القرن الثامن قبل الميلاد حتى اوائل القرن السادس قبل الميلاد ، ولم يتصل سكان هذه المدن بباقي سكان ايطاليا ، حيث كان ارتباطهم ببلادهم الاصلية في اليونان .

ج : نشأة روما

اسست روما حوالي عام 753 قبل الميلاد علي نهر التيبر بهدف الدفاع عن المدن اللاتينية ضد الغزو الاتروري ، ومنذ ذلك التاريخ دخلت في حروب طويلة ، زادت علي المئة عام بين الكر والفر ، وبمساعدة المدن اللاتينية التي كانت تمدها بالرجال والعتاد ، استطاعت روما أن تنتصر الاتروريين وتقضي علي أخطارهم تماماً ، ومنذ ذلك الوقت بدأت في النظر إلي جيرانها والطمع في

أملاكهم لكي تكون زعبمة ايطاليا كلها ، فدخلت في حروب مع المدن اللاتينية انتهت باتصار روما عام 340 قبل الميلاد ، ثم اتجهت إلي الجنوب لتستولي علي المدن اليونانية وتحولها لاملاك رومانية عام 275 قبل الميلاد ، وبذلك تصبح روما سيدة ايطاليا كلها ، وتخرج علي البحر المتوسط لتتصل بالحضارات القديمة آنذاك ، وهي الحضارة المصرية والحضارة القرطاجية في تونس ، ولأن روما دولة استعمارية ، فكان تنتهز الفرص لتدخل في حروب مع جيرانها راغبة فيب الاستيلاء علي أملاكهم ، ولقد تمكنت من ذلك علي النحو الآتي :

1- دخلت روما في حروب مع قرطاج عرفت باسم (الحروب البونية) ، ومرت هذه الحروب بثلاث مراحل . الحرب البونية الأولى : امتدت من عام 263-242 قبل الميلاد وانتهت بتوقيع معاهدت صلح دفعت قرطاج بموجبها غرامة حربية كبيرة مع تنازلها عن املاكها في جزيرة صقلية . والحرب البونية الثانية : امتدت من عام 239-201 قبل الميلاد ، وهي التي ظهر فيها القائد القرطاجي العظيم (هانيبال) ، وانتهت بتنازل قرطاج عن كل املاكها الخارجية مع دفع غرامة حربية جديدة . والحرب البونية الثالثة : وامتدت من 154-146 قبل الميلاد ، وانتهت بهزيمة قرطاج وتحولها إلي ولاية رومانية تحت اسم (ولاية افريقية) .
2- دخلت روما في حروب مع مقدونيا انتهت بتدخلها في شئون بلاد اليونان وتحويلها إلي ولاية رومانية عام 145 قبل الميلاد
3- استطاعت روما بنفوذها في سوريا أن تستولي عليها وتحولها إلي ولاية رومانية عام 68 قبل الميلاد تحت اسم ولاية سوريا .
4- تدخلت روما في الصراعات الاسرية البطلمية التي كانت تحكم مصر ، وبسبب ضعف الملوك البطالمة اصبحت روما الوصية علي الادارة البطلمية وبخاصة فيما يخص السياسة الخارجية ، حتى وصل الامر إلي دخول روما بقيادة اوكتافيوس حرب مع القائد الروماني انطونيوس حليف كليوباترا السابعة ملكة مصر ، انتهت بهزيمة انطونيوس في معركة (اكتيوم) البحرية عام 31 قبل الميلاد وتحويل مصر إلي ولاية رومانية .

ومنذ ذلك التاريخ غدت روما سيدة حوض البحر المتوسط ، وتصبح بعد ذلك امبراطورية كبيرة حكمت معظم العالم القديم ، وخلفت لنا حضارة كبيرة ، في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية .